كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة بالغة العربية : النقد القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية:_ابن المعتز ونظرية البديع

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: Ibn Al-Mu’taz and Rhetoric

مقرر الفصل الأول

ابن المعتز ونظرية البديع: ((ت٢٩٦هـ))

أبو العباس عبد الله بن المعتز المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي. ولد عام (٢٤٧هـ)، كان أديبا شاعرا و ناقدا عالما مصنّفا يجيد فنّي النظم و النثر، واسع الثقافة بعدد من فنون المعرفة. ومن كتبه: كتاب الآداب (في الأخلاق)، كتاب البديع، تباشير السرور، فصول التماثيل، طبقات الشعراء المحدثين، أشعار الملوك، سرقات الشعراء، الزهر والرياض، مكاتبات الاخوان بالشعر، الصيد بالجوارح، الجامع في الغناء، حلى الاخبار.

وابن المعتزّ شاعر مكثر مجيد حسن الطبع جيد القريحة بليغا صاحب صناعة. ثم هو قريب المأخذ حسن الاختراع للمعاني فصيح الألفاظ سهل التركيب جميل الديباجة يصيب التشابيه والاستعارات. أما فنونه فهي الأدب والفخر والمدح والرثاء والهجاء والوصف والنسيب والزهد.

بويع له بالخلافة ولكن لم يبق في الخلافة غير يوم وليلة. وتوفي في عام (ت٢٩٦هـ).

لا بد لمن يريد الحديث عن آراء ابن المعتز النقدية في البديع وغيره ان ينطلق أولًا من حقيقة كونه شاعرا، ليعرف مدى تأثير شاعريته واتجاهه الفني في آرائه النقدية فقد اجمع القدماء على انه يتَّصف بـ :

١-ميله إلى البديع والتشبيهات المبتكرة .

٢-التأنق في اللغة الشعرية .

لقد عرَّف ابن المعتز البديع بأنه: "اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو، وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه احد" .

وإذا تتبعنا مفهوم البديع عند ابن المعتز وعند من سبقه وجدناه عاما شاملا كل فنون الصنعة والجمال الفني كالجناس، والطباق، والتشبيه، والاستعارة، والالتفات وحسن الابتداء وحسن التعليل وما الى ذلك، إلا أن مصطلحاته لم تستقر حتى سجلها ابن المعتز وصنَّفها وبيَّن شواهدها في كتاب البديع، وهذا أمر طبيعي لان الظواهر الفنية تسبق الأحكام النقدية والقواعد الفنية التي يصنعها النقاد والدارسون لكل فن شعري، فالشعراء كانوا يستعملون اضرب البديع في اشعارهم ومخاطباتهم دون أن يضعوا لها مسميات وإنما كانت ترد عندهم عفو الخاطر وطوع السليقة، فلا عجب أن تجد اختلاف النقاد في بدء مرحلة التأليف النقدي في إطلاق بعض المسميات على اضرب سميت بغيرها فيما بعد فالطباق مثلا او التطبيق هو (مساواة المقدار) كما ذكر الجاحظ .

إنَّ فنون البديع وأساليبه كانت معروفة عند الشعراء المحدثين وقد سبق إليها القدماء إلا أنَّ المصطلحات لم تستقر بعد، ولم تجمع في كتاب مفرد، ومن هنا يظهر فضل ابن المعتز في قدرته على حصر بعض هذه الفنون وتقسيمها، وإطلاق مسميات لها مع سرد شواهدها وإبداء رأيه في كثير منها.

سبب تأليفه الكتاب:

يرى بعض الباحثين ان كتاب البديع من الكتب المؤلفة دفاعا عن المحدثين واحتجاجا للبديعيين، إذ اثبت ابن المعتز أن البديع معروف في العربية منذ العهد القديم جاء هذا في قوله:" قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن الكريم واللغة وأحاديث رسول الله "صلى الله عليه وسلم"

وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن؛ ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه. ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغِفَ به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف"[١]

ويرى البعض الآخر ان سبب تأليفه انه كان صورة للصراع بين القديم والحديث، لهذا فهو يرى أنَّ ابن المعتز وقف الى جانب الشعر القديم دون المحدث، وان البديع ليس مستحدثا انما الفضل للقدماء.

ويرى د. داود سلوم أن كتاب البديع جاء دفاعاً عن الشعر المحدث، فقال:(فهو وإن كان في الواقع يريد أن ينفي ادعاء المحدثين حق ابتكار ما سمّاه المحدثون البديع، قد أكد على حقيقة أخرى من حيث لا يشعر هي أنَّ الشعر الحديث لم يخرج على أصول العربية وعمود الشعر في استعمال البديع، وإذا كان قد أسرف المحدثون فهو شيءٌ آخر)

أما الدكتورة ابتسام الصفار، فترى أنَّ ابن المعتز قد عمد إلى تأليف كتاب البديع دفاعاً عن الشعر المحدث بوعي علمي، ودافع أدبي بقصد ترسيخ هذا الفن الذي عيب على المحدثين استعماله، وآية ذلك أن ابن المعتز ميَّال للمحدثين، ويتَّضح ذلك في كتابهِ (طبقات الشعراء)، إذ أراد القول إنَّ البديع ليس بمستحدث ولا بمعيب؛ لأن القدماء قد عرفوه. وقد ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لذلك كتب ابن المعتز في البديع ليقول إنَّ البديع ليس عيباً على الشعر المحدث.

---

(١) البديع لابن المعتز : ١ .

إنَّ دراسة سبب تأليف كتاب البديع يجب أن لا تنفصل عن شخصية ابن المعتز الشاعر وعن مواقفه النقدية الأخرى وتآليفه التي يستنتج منها موقف نقدي، فابن المعتز من انصار المحدثين ونجد صحة هذا الرأي عند دراستنا لكتابه الآخر طبقات الشعراء، وهو ميال الى استعمال البديع ميلا يجعل كتابه البديع صدى لشاعريته.

لقد عاب كثير من النقاد على الشعراء في زمانه استعمال البديع والمحسنات اللفظية بشكل مفرط، لذا رأى ابن المعتز ان يتصدى للدفاع عن السمة التي عرفت بها اشعارهم وهي (إيراد البديع والتفنن فيه) ليقول لنا ان البديع ليس بمستحدث ولا بمعيب لان القدماء قد عرفوه، وقد ورد أيضا في القران الكريم والحديث النبوي الشريف، فالكتاب اذن دفاع عن الشعر المحدث، وابراز لأهم قضية شغلت بال النقاد وحكمت مواقفهم منه، كتب ابن المعتز في البديع لئلا يعد البديع عيبا على الشعر المحدث، وبين أقسامه ليحتذي الشعراء المحدثون حذو القدماء في الجيد من البديع وهو في كثرة شواهده التي اختارها يدلنا على ذوقه الأدبي الرفيع من جهة، وعلى النزعة العربية الخالصة في التأليف النقدي من الجهة الأخرى، فكتاب البديع يدل على اصوله العربية التي لم تتأثر بعد بالثقافة الأجنبية.

لقد خطا ابن المعتز في تأليفه لهذا الكتاب خطوة جديدة في قضية القديم والحديث من الشعر، فبعد ان وصل الشعر المحدث الى مرحلة المطالبة بالمساواة مع القديم والدعوة الى النظر بعين العدل والإنصاف عند الجاحظ وابن قتيبة خطا على يد ابن المعتز خطوة جديدة ظهرت في التأليف بأهم قضية تخص الشعر المحدث وهي ما لازم شعر الشعراء من ميزات، استعمال الفنون البديعة، والتوسع في استعمال المفردات اللغوية على خلاف ما كان القدماء يستعملونه، فتصدى ابن المعتز للتأليف في البديع، ليقول ان هذه الظاهرة ليست من ابتكار المحدثين، وانما سبقهم إليها القدماء فلا داعي لتوجيه سهام النقد والعيب عليهم.